

الجزء

حسن فتح الباب

قَمَرٌ فِي الْمَجَاقِ .. الْمنايا لهم
والأمانِي لِكُهَّانِ « طيبة »
والبَقَرَاتُ السَّمَانِ « لَامُونَ »
فرعونُ فوق الأَصاحِي
أيا وطنَ البسطِ والقبضِ والوجدِ
والفيضِ

يا وطنَ الحلمِ والرَّفْضِ
يا أيُّها الشَّجْنُ القاهرُ المُستَحَبُّ الذي
يَسْكُنُ النَّفْيَ ... يَسْكُنُنِي عَشَقُكَ الْمستَمِيتِ

*

للملِكِ بين الرِّصافةِ والجسْرِ
والرَّاكِبُونَ على الموجِ يَحْتَضِنُونَ البيارقَ
تحت سيوفِ الأهلَّةِ والحافظون فروجَ
البُغَاةِ

فروضُ القبيلةِ ... من رجونا
لأنَّا رَجَمْنَا لَهُمْ صنًا
واجترحنا الخطايا، لأنَّا رَحِمْنَا لَنَا نَطَقًا
أيها الوالغونُ العَواةُ بذئابِ المَوايِ
على النَّهْرِ أَصْفَى بَنِينًا وَأَحْلَى البِنَاتِ
تُبَاعُ .. تَجُوعُ .. وتُلْقَى لَكُمْ جُثْنَا
أو حبالا عليها تُسَيِّمُونَ أو تَسْرَحُونَ
المراعِي لَكُمْ ... والمراثي لنا
أيُّها المُنْتَهُونَ العِثَاءُ الأَخِيرُ
المنافي أحبُّ إلينا
تضيءُ السَّوَادُ على السَّامِرِيِّ
فَتَسْحَقُهُ قَدَمُ المِيتِينَ على بابِهِ
والمعاولُ أيدي السنين العِجافِ
وآخِرَةُ التَّيِّهِ بين المِزَامِيرِ و« السَّامِرِيِّ »
وأبْهَةٌ الحَرَسِ الْمَلِكِيِّ الْمُطَاعِ

وعينين من « المشريية » أغنيتين
لطفلٍ فقيرٍ ... عشقتُ حَصَى قَربِي
قَبْلَ أَنْ أتلَقَ شَمَّ الصَّخُورِ وَيبهِرُنِي النَجْمُ
كيف تَخْطَى الغيوبَ بِمطرقةِ
لا يراها العبيدُ الجَوارِي وفأسِ

عرفتُ بها يدَ أُمِّي .. أُمِّي
عَرَقَ الأَرْضِ .. جلد الصَّحَايا
وَأنستُ في ظِلِّ مَنْجَلِها
نورَ عيني ونبضَ الحَنايا
ولستُ بباطعهم ما حييتُ ولكنْ
لك العشقُ يا وطني أَيُّها الأبدُ المُتَحَوِّلُ
بالموتِ فينا خلايا .. وبالنَّيلِ أُنْدَاءُ جرحِ
على وجنتي بائعِ الفلِّ طار على غيمةٍ من
ضلوعِ الأَرِقةِ

بين « صحارَى الإمامِ » و« رملةِ بولاَقِ »
- آه مشاعلُ كانت وتبقى وقودا -
إلى الأُمسياتِ المَرايا على الشاطيءِ الأخرِ
المُخْمَلِيِّ

لك العشقُ يا أَيُّها الوطنُ المُتَحَوِّلُ في الليلِ
مَرَكِبَةً

تحت عمالِ « أسيوطِ »
- اه ريفقا لَمْ كُنْتُ في زمنِ الحَقِّ
والزَّيْفِ

حرباً على الحروفِ كان الجنودُ
ريفقا لَمْ كُنْتُ في وطنِ الرَّاتِعِينَ المِطَايا
ريفقا لَمْ زَمَنَ العازِفِينَ البِغايا -
وزادُ « السَّراحييلِ » بين « السَّبراري »
و« أسوانِ »

شمسٌ وحلمٌ صبايا .. رؤوسٌ تساندُها
موجتان .. تضاجعُها سنبلاتٌ دَوَّتْ

تَلْمِمْ أوراقها النَّائحاتِ على عِلَّتِي
وردةٌ كُنْتُ في النَّيلِ حَبَّاتُها
والنجومُ التي شخِصْتُ في خريفِ المِطارِ
إلى حِينًا .. ودَعَّنا على نهرنا العارِقِ
المستبَدِّ

عليلُ أنا .. عِلَّتِي صِحَّةُ البَوحِ ..
إنَّ الطَريقَ الرَّحيلِ عن النَّيلِ
يُبلِغُنَا مأمناً .. كَفَنًا لِلْمُسَجَّى القَتيلِ
على مائه .. في انتظارِ القِيامَةِ
تَجْمَعُ أَشلاؤُهُ بعضُها

يبعثُ الجذَرَ عن ساقِهِ
السَّاقُ تَبِحتُ عن جِذْرِها
والمِطارُ الخريفُ النجومِ الوداعِ
تَلْمِمْ أوراقها
لنَحيلُ زادَ المعادِ وآخِرَةَ الرَّفْضِ
أولَى النَّهاياتِ لِلْمُجْتَلِيِ والبِداياتِ
لِلْمُنْتَمِيِ

*

والمُصلُّونَ لِلغَيْثِ بين الفياضِ رفاقُ المنافي
يقولون يومَ التَّلَاقِ المنافي القَرايِينُ
إنَّ المنافي الشِّفاءُ شِفاءُ
إذا عَشَقْتَنَا شِفاءُ الجِراحِ
فلا تَنأ عَنَّا

[أخي أنت من لحمي دماؤك من دمائي
فإن كنتُ مأكولاً فكن خيرَ آكلٍ
وإلا فأدركني ولما أُمَرَّقَ]
يرأودك السابقون الآلى أنكرونا
لأننا عَشَقْنَا وميضَ الرَمادِ القَدِيمِ
وطيبَ المساءِ على بيتنا المَشْرِقيِّ

فيومٌ لزيّنة لا يرانا
ويومٌ لوْشمٍ معاصمنا لا نراه
فهايت كتابك.. اقرأ كتاباً موتاك
أسراك والشهداء الألى بايعوك
صلاةً لمصر.. لبيارة لم تساوم
وأنت لربّ الجحيم صلاتك
عادوا أسارى عبورك.. خاضوه
فوق دمائك.. عام المجاعة والخوف والإفك
كفى بك فيهم عليك شهيدا

★
وطالت علينا ليالي «التحريق» في النيل
ملّت غناها «المجاريح»

تحت حصاد الهزيع الأخير من النأي
والتعب المشتهم والرعاة النعاة البغاة
تدللنا في الجحيم المنافي تراودنا بالنعيم
أفق يا غريب الديار.. مدينتنا تستباح
وماذا تساوي الأغاني... المقاهي عليك
تغلق أبوابها بالنيون
أفق يا كليل العيون
المنافي الغربية بين نهود الأفاعي
ومطرقة العشق والبغض.. أين تؤولي
جيبينا؟

إن الطريق الرحيل الرحيق السمادير
كل بكورٍ رواح.. وكل عشاءٍ أخير
عليلٌ أنا.. والعيون تطارد
نظرتك المرّة الصلّبة انقسمت موجتين
شعاعٌ ترجل بين لفائف تبغ الكموس التي
فرغت والمتاجر صفت لبيعك
للمجتنينك غداً.. والحناجر جفت
أغفى.. ترنح.. ثم توحد بالظمي
صاح أعود فعاد مدمى بغير شفاء
وسار كليلاً وأحبطه ندم العائدين
فثار أعود.. فأحرق السفن قبطانها..

الريح
تدفع قرصانها.. النيل أخفى مفاتيحه
جاء من مائه هارياً طائر الحلم يشدو
الطريق الحريق الرحيل عن النيل
يوردنا حتفننا ثم يبلغنا

- فوق جسر من النار والرحم
للمصطلي
حيثاً.. علّتي صيحة البوح يا نيلنا

يا ذراع العناة العناة انتفض هراً
فوق أجسادنا.. كن توابيت أحزاننا
كن براكين.. إن البراكين تغفو سنين
لتصحو أعاصير تمحق بؤس القرى
كن لنا جبلاً عاصماً أيها النيل
أم أنت طوفاننا؟ كن لنا بيدراً عاصفاً
أيها النيل لا لا تجف - أنا المشتري
قطرة قطرة بالشرابين
والعرق الأسود المشتري
أنا المشتري أيها النيل
كئوس رضاك الأخيرة.. هم عائدون

★
أنا المشتري بدمائي دماً.. وردة
فوق وجنة هذا النحيل الصغير الذي
يسرق الشمس والخبز.. يسرق مني
الدموع

ومقبرة خلف هذي «النجوم»
شموعي انفجار المجاعة والسُّل بين الضلوع
دماً راعفاً في المناريس يا نهرنا
لا تجف.. ربيعي قيام التراب الحزين
التراب العتيق الذي لا يخون
فكن قاتلي أو دمي في الحياة أو الموت
ما شئت.. لكن لتحفر سريراً من الطمي
لي

موجة من لذنك.. ولا تسقني
ضمّني.. كن ضلوعي.. أنا جيّك.. كن
سكّني
يا شرع المساكين والماردين السور الحائم
يا نيل لا لا ينل منك نسل المالميك
والمارقين غداً.. لا تبغهم بشديك
لا لا تكن للنفايات مبعي

★
سلاماً لقاfile المتعبين على القاع
والنخل - لا طلع - جاثٍ لأمر الشقي
عراة من الليل.. من طلل في الجحيم
يجييون.. يأتونني بالنجوم التي
تسبق الفجر.. أتي إليهم بنيران كل
الحقول

وعرس دمي.. والكروم
وتذكار من يجمع الشاردين

يبعُ السكون القرار.. السكون القرار
بعاصفة من جنون
ليحترق المستحيل

★

[تقول التي من بينها خف مركبي
عزيز علينا أن نراك تسير
أما دون مصر للعلا متطلب
بلى.. إن أسباب العلا لكثير!!]
هنا مهبط العارفين حبيبي
وموتل كل الضحايا الصحابة وابن السبيل
وحبك أحلى بيوت العذابات أندى
صليب.. وأهبي النضال النضال
عليها ينام الرفيق الطريد
وتصحو مقابرنا في القرون
على ضجة الغائبين الحضور
وسكرة حوانك المترفين
[والارض جميعاً قبضته يوم القيامة
والسموات مطويات بيمنه]
ودون التي يعشق القلب.. دون التي
لا تموت التي لا تباع ولا تشتري
ألف ميل.. وانت الطريق الرحيل إلى
النيل

يا مشتهى الأشقياء الألى لم يضلوا
وما اختلجت دمة حرة في الصدور
وما اخترقت شهقة مرة
صدر هذي الحجار

فأرخي علينا سدولك.. آن أوان اليقين
وهزي إليك الجنين الجبين الجديد النضير
ولا تسلميه
نمد إليك السواعد
من ماردين عراة قرابين للنيل
لأبن الإله غزاة ملايين

تجمع أشلاؤهم بعضها
يبحث الفرع عن جذره
الجذر يبحث عن فرعه يا ابنة النيل
هزي إليك مجذع الوليد
ولا تحرمي الفرع لذة الجذور

وهران (الجزائر)